«عهدُ قُرصبة»

لَاتَ حِـــينَ الوَصْـــلِ يـــا رَبْعًـــا عَفَـــا ... لَـــمْ تَـــزَلْ فيـــهِ تُـــرَاقُ الأَدْمُـــعُ

يـــا خَلِيلَـــيَّ علـــى الرَّبْـــعِ قِفَـــا ... فَاسْـــأَلَاهُ هَـــلْ بِوَصْـــلٍ يَرْجِـــعُ

لـــم أَزَلْ مُـــسْتَذْكِرًا فيمَـــا مَـــضَى ... عَهْـــدَنَا فِيـــهِ وَلَا يُخْـــشَى غَـــدُ

عَهْـــدَ لَيْلَـــى إِذْ لَنَـــا الـــدَّهْرُ قَـــضَى ... بِـــافْتِرَاقٍ مَـــا لَنَـــا فِيـــهِ يَـــدُ

عَهْـــدَ وَصْـــلٍ بَـــيْنَ سُـــخْطٍ وَرِضَـــى ... وَعُـــدُولُ الـــدَّمْعِ فيـــهِ تَـــشْهَدُ

هـــيَ دَائِـــي فِي الهَـــوَى وَهْـــيَ الـــشِّفَا ... لـــستُ أدرِي مَعَهَـــا مَـــا أَصْـــنَعُ

فَهَوَاهَـــا فِي فُـــؤادي مَـــا انْطَفَـــا ... لَيْتَهَـــا تَـــدْرِي بِـــهِ مَـــا تُـــودِعُ

وفُـــؤادي عَـــنْ هَوَاهَـــا مَـــا لَهَـــا ... مُنْـــذُ كُنَّـــا فِي الزّمـــانِ الأَوَّلِ

وَكَـــذَا عَهْـــدِي بِـــهِ مَـــا مَلَّهَـــا ... إِنْ يَمَـــلَّ القَلْـــبُ مِنْهَـــا كَيْـــفَ لِـــي

مـــا رأيـــتُ الـــدَّهْرَ مِـــنْ مِثْـــلٍ لَهَـــا ... تُنْـــزِلُ العُـــصْمَ بِقَـــوْلٍ مِـــنْ عَـــلِ

وخُـــرُوقُ القلـــبِ مِمَّـــا شَـــنَّفَا ... قَوْلُهَـــا مِـــنْ مَـــسْمَعِي لا تُرْقَـــعُ

قـــد سَـــقَتْنِي مِـــنْ يَـــدَيْهَا قَرْقَفَـــا ... لا أُبَـــالِي مَعَـــهُ إِنْ يَـــدَّعُوا

مَنْطِـــقٌ فَـــصْلٌ وَحُـــسْنٌ قُرْطُبِـــي ... مَـــا لَـــهُ مِنِّـــي جَـــرَى مَجْـــرَى الـــنَّفَسْ!

وَمَتَـــى تَـــذْكُرْ كَلَامًـــا تُغْـــرِبِ ... إِنْ يَكُـــنْ سِـــحْرًا وَإِلَّا فَهْـــوَ مَـــسّ

أنـــا مِـــنْ سُـــكْرِي بِـــهِ فِي المَغْـــرِبِ ... وَهْـــيَ مـــنْ سِـــحْرٍ لَهـــا فِي الأَنْـــدَلُسْ

آهِ لَـــوْ أَنَّ وُشَـــاتِي قَـــدْ غَفَـــا ... جَفْـــنُهُمْ عَنِّـــي فَمَـــا بِـــي مَفْـــزَعُ

لَا أُبَـــالِي وَالهَـــوَى قَـــدْ أَسْـــرَفَا ... هَـــلْ وَعَـــوْا قَـــوْلِي لَهَـــا أَمْ لَـــمْ يَعُـــوا

كُلَّمَـــا وَفَّيْـــتُ عَهْـــدِي نَكَثَـــتْ ... ثُـــمَّ أَرْجَتْـــهُ لِعَـــامٍ قَابِـــلِ

سِـــحْرُهَا فِـــي عُقَـــدٍ قَـــدْ وَرِثَـــتْ ... قَبْـــلَ دَهْـــرٍ عِلْمَـــهُ عَـــنْ بَابِـــلِ

فَوَّقَـــتْ سَـــهْمًا بِمَـــا قَـــدْ نَفَثَـــتْ ... لَهْـــفَ نَفْـــسِي يَـــا لَـــذَاكَ النَّابِـــلِ

أَرْسَـــلَتْ طَيْفًـــا لَهَـــا مَـــا أَنْـــصَفَا لِـــي إِلَيْـــهِ عَـــنْ سِـــوَاهُ مَنْـــزَعُ

فَلَقَـــدْ كَلَّفَنِـــي مَـــا كَلَّفَـــا يَـــا لَنَفْـــسِي غُلَّـــةً لَا تُنْقَـــعُ

جَـسَدِي عِنْـدِي وَرُوحِـي عِنْـدَهَا نَـــزَلَا قُرْطُبَـــةً فَاعْتَنَقَـــا

عُلِّـــقَ القَلْـــبُ هَوَاهَـــا بَعْـــدَهَا مَـــا لَـــهُ يَـــشْقَى بِمَـــا قَـــدْ عُلِّقَـــا!

لَـسْتُ أَدْرِي كَيْـفَ أَطْـوِي بُعْـدَهَا شَـجِيَتْ نَفْـسِي وَقَـدْ عَـزَّ اللِّقَـا

إِنْ تَـــرَيْ قَـــوْمِي يَقُولُـــونَ كَفَـــى وَالْـــهُ عَنْهَـــا لَـــيْسَ فِيهَـــا مَطْمَـــعُ

حُـــقَّ مُـــذْ ضَـــاعَتْ لَنَـــا أَنْ نَأْسَـــفَا لَـــمْ يَعُـــدْ لِلْعُـــرْبِ فِيهَـــا مَوْضِـــعُ

وَأُهَيْـــلُ الحَـــيِّ فِيـــهِ مَـــا بِهِـــمْ غَيْـــرُ شَـــوْقٍ لِلزَّمَـــانِ الغَـــابِرِ

قَـدْ نَفَـوْا مَـا حُمِّلُـوا مِـنْ عَـابِهِمْ ثُـــمَّ سَـــادُوا كَـــابِرًا عَـــنْ كَـــابِرِ

أَوْرَثُـــوا الأَمْجَـــادَ فِـــي أَعْقَـــابِهِمْ وَأَقَـــالُوا عَثْـــرَةً لِلْعَـــاثِرِ

مِـــنْ سَـــرَاةِ القَـــوْمِ مِمَّـــنْ قَـــدْ كَفَـــى عَـــنْ جُمُـــوعٍ فِـــي الـــوَغَى إِنْ يَـــدْفَعُوا

لَـــمْ أَزَلْ أَرْعَـــى لَهُـــمْ حَـــقَّ الوَفَـــا حَفِظُـــوا عَهْـــدِي لَهُـــمْ أَمْ ضَـــيَّعُوا

سَـــاعِيًا مَـــا بَيْـــنَهُمْ عَلِّـــي أَرَى مُمْـــسِكًا مِـــنْهُمْ بِـــوُثْقَى العُـــرْوَةِ

ذَاكِـــرًا فِيمَـــا تَـــوَلَّى هَـــاجَرَا سَـــعْيَهَا بَـــيْنَ الـــصَّفَا وَالمَـــرْوَةِ

وَاقْتَـــدَيْتُ الـــدَّهْرَ فِـــيهِمْ سَـــادِرَا فِـــي المُنَـــى بِـــابْنِ الزُّبَيْـــرِ عُـــرْوَةِ

أَطْلُـــبُ عِلْـــمَ عِيَـــاضٍ فِـــي الـــشِّفَا سِـــيرَةَ الهَـــادِي الَّـــذِي يُسْتَـــشْفَعُ

عَلَّنِـــي أُعْـــزَى غَـــدًا لِلْمُـــصْطَفَى وَبِـــهِ فِـــي مُـــسْتَقَرٍّ أُجْمَـــعُ